الدرس الرابع

الدعوة .. فنٌّ قَلَّ متقنوه!!

إنه الأسلوب، وأعظم به أيها الدعاة درساً؟! إنه الدرس الذي ينبغي أن يقف عنده السائرون على هذا الدرب طويلا.... يقفون عنده وقفة تأمل... ووقفة تعلّم... لا يغادرونها إلا بعلم وعمل... ذلك أنه–أي الأسلوب– الطريق الموصل إلى قلوب العباد... والمفتاح الذي به تفتح المغاليق منها.. والدواء الذي يشفى به المعلول السقيم!!.

وهذا الدرس نستفيده من موقف هذا الداعية حين خاطب قومه بقوله:(ياقوم)، وحين وجه الكلام لنفسه على مسمع من قومه فقال: ﴿ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون. أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغني عني شفاعتهم شيئاً ولا ينقذون. إني إذا لفي ضلال مبين﴾!!.

إنه ما جاء وقطع هذه المسافة الطويلة كلها إلا لأنه مؤمن بالله تعالى، فلم يوجه الكلام لنفسه؟! ولم لم يقل موجهاً الكلام لهم: ومالكم لا تعبدون الذي فطركم وإليه ترجعون؟! أتتخذون من دونه آلهة؟! ومالكم لا تعبدون الذي فطركم وإليه ترجعون؟! إن يردكم الرحمن بضر لا تغني عنكم شفاعتهم شيئاً ولا ينقذون... تباً لكم إنكم إذا لفي ضلال مبين!!!.

نعم ... لماذا لم يقل لهم هذا صراحةعلنا؟! أهو الجبن والخوف؟! لا والله... لا هذا ولا ذاك.... لكنها الحكمة يؤتيها الله من يشاء من عباده.. إنه حين قال هذا على مسمعهم... لم يرد نفسه بل أرادهم هم... لكن بأسلوب جميل مؤثر... بل في غاية التوفيق والإحسان.. فدقق النظر جيداً في هذا الأسلوب الرائع... الذي اختاره هذا الداعية ليوصل لقومه حقائق الدعوة إلى الله تبارك وتعالى!! تجد فناً رائعاً في الدعوة... والدعوة إلى الله تعالى (فنٌ) قلّ متقنوه ونَدُرَ عارفوه!!

ثم أنت أيها الداعية الكريم كم تصل إلى قلوب الآخرين حين تقول لأحدهم :(يا أخي)، أو تبدأه بالسلام... وتناديه بأحب الأسماء إليه.. وقد يكون مرتكب معصية.. أو

تارك فرض... أو سيء خلق... أو بذيء لسان... لكنك بهذه الكلمات الطيبة التي ما اعتاد سماعها من أقران السوء... ستترك أثراً واضحاً طيباً في ذلك القلب الغافل.. تدعوه ولو بعد حين للتأمل!!!

وكم تكون الهوّة بينك وبين الآخرين عظيمة؟! بعيدة العمق!! حين تقول لصاحب المعصية: أيها العاصي المذنب المجرم!! ولصاحب الإساءة: أيها المسيء البذيء.. فإنك بذلك تسد أي طريق يمكن سلوكه للإصلاح والدعوة... فيأخذ منك ومن إخوانك الدعاة موقفاً سلبياً!! بل إنك بذلك تعين الشيطان عليه.. وتعطيه جرأة على جرأته في ارتكاب المزيد من المعاصي... لأن هذا من طبيعة الإنسان.. حين يظن أنّ أمره قد اشتهر بين الناس وافتضح.. فما عاد الناس يخاطبونه إلا بهذا الجانب... ومن هذا المنطلق.. فإن سلطان الشيطان سيتضخم في نفسه... وينكمش سلطان الخير والصلاح!!.

«وكثيراً ما يقع الإنسان في الشر تحت تأثير ضغوط خارجية، وعندما يراه الناس يحكمون عليه بالاجرام.... دون أن يقدروا الظروف التي أحاطت به وأدت إلى وقوعه في هذه الأخطاء، وهو لا شك حكم جائر، تترتب عليه آثار سيئة، ويكون له ردود فعل عكسية.... يحطم نفسه، ويقضي على معاني الخير فيها، ويجنح به إلى الاستهتار بالقيم

والمثل التي تعارف الناس عليها،... وعندئذ يتمادى في الشر، ويستمرئ الإجرام، ويهون عليه ارتكاب الخطايا»[1]

ومن حياة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أمير المؤمنين نسجل هذه اللفتة الطيبة المؤثرة، للفائده والذكرى.

تفقد عمر بن الخطاب رضي الله عه رجلاً يعرفه، فقيل له: إنه يتابع الشراب، فكتب إليه:

«إني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، غافر الذنب، وقابل القلوب، شديد العقاب ذي الطول، لا إله إلا هو، إليه المصير».

فلم يزل الرجل يرددها ويبكي حتى صحّت توبته، وأحسن النزع، وبلغت توبته عمر رضي الله عنه فقال لمن حضروا مجلسه: «هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أخاً لكم زلّ زلّة، فسددوه ووفقوه وادعوا الله ان يتوب عليه، ولا تكونوا أعواناً للشيطان عليه».[2]

***

(١) هذا الدين بين جهل ابنائه وكيد أعدائه/ . محمد السيد الوكيل، ص١٧٧.

(٢) رجال أنزل الله فيهم قرآناً/ د. عبدالرحمن عميرة ٦/١٢٤.

والطفل البريء حين يواجه دائما من قبل والديه بالشك والاتهام في صدق وحقيقة أقواله وأفعاله.. وبالحكم المسبق عليه... لأنه ذات مرة سبق له وأن (كذب)!! فأي سلوك سيختار هذا الطفل إزاء موقف والديه هذا؟! إنه دون شك سيضرب بهما عرض الحائط.. ولا يبالي بعد ذلك إن قال الصدق أو كذب.. لأن الحكم عندهما معروف سلفاً.. وهكذا ينجرف الطفل نحو هاوية الكذب.. بفعل والديه اللذين أساءا الأسلوب وأخطأاه!! ولو أنهما اكتفيا ببيان عاقبة هذا الخلق وشناعته... بقصة صغيرة تناسب عقله وإدراكه... ثم قبلا منه اعتذاره... ثم منحاه ثقتهما بتصديقه...لكان هذا أجدى وأنفع!! وقس على هذا غيره... الاستاذ مع تلميذه والرئيس مع مرؤوسه.. والموظف والعامل مع من هو مسؤول عنه!! وكذا الداعية مع من يدعوه!!

وما هو بداعية من سلك هذا الأسلوب.. لأن الداعية في حقيقته طبيب قلوب.. اختصاص أحاسيس ومشاعر وعواطف.. وعادات وقيم وتقاليد، أرأيت طبيباً يعالج مرضاه بجلافة طبع أو سوء لفظ.. أو إصدار وتوجيه تهم؟!! وعلى الرغم من أن العلاج في صالحهم أولاً وأخيراً. إلا أنك تجد الطبيب لا يفتر ثغره عن ابتسامة عذبة جميلة يلاقي فيها مرضاه... ويلاطفهم بها... مهما كانت حالة أحدهم خطيرة صعبة... لأنه يعلم أن هذه الابتسامة تبعث الأنس والاطمئنان

في نفس المريض.. ولأن هذه الابتسامة هي عنوان الثقة.. التي سرعان ما تنغرس في قلب المريض.. فيسلم أمره وجسده للطبيب.. ولأن هذا كله من صميم العلاج ونجاحه.. وتراه في كثير من الأحيان يخفي على المريض حقيقة مرضه... ويهوّن أمره، لأن الحكمة تقتضي ذلك!! والطبيب هنا هو الذي يقدر الحكمة قدرها... فيخفي الحقيقة إذا كان لها على نفس المريض أثر سيء وسلبي.. فقد تسوء حالته... وتخور قواه.. وتضعف عزيمته.. وقد يستسلم للمرض بيأس وقنوط.. أو لعله يقدم على قتل نفسه(الانتحار) إن كان لا يؤمن بقدر الله وقضائه.. أو كان إيمانه ضعيفاً..

هذا كله إن كان المريض كبيراً واعياً.. أما إن كان صغيراً جاهلاً.. فلا بد أن تصاحب الابتسامة ملاعبة ومداعبة.. وشيء من الحلوى وغيرها.. وغالبا ما ترى غرفة(عيادة) طبيب الأطفال مملوءة بالصور والألعاب... التي يأنس بها الطفل وينجذب إليها... وهذا كله يجعل هذا الطفل الجاهل بحقيقة مرضه، يطمئن لهذا الرجل فيتقبل منه العلاج... وعلى الرغم من هذا أيضاً فإنك تجد الطفل يصرخ ويبكي في وجه الطبيب بل ويشتمه.. وكل ذلك لا يخرج الطبيب الإنسان عن وضعه الطبيعي وابتسامته العذبة... ومداعبته اللطيفة.. وألفاظه الحلوة الجميلة!!.

ومن يكن الأطباء إن لم يكن الدعاة إلى الله على رأسهم؟! بل إنك لتلمح صعوبة عمل ووظيفة الدعاة مقارنة بوظيفة الأطباء.. فاولئك؛ يعالجون الجسد.. ويداوون أمراضه.. ويضمدون جراحه... أما هؤلاء فيعالجون الروح... ويحصنون القلب.. ويحافظون على القيم والمبادئ الحقة.. فلا يصل إليها عطب أو ينالها خراب.. وهم بهذا يحافظون على الجسد: قوة وسلامة.. لأن صفاء الروح ونقاءها.. وسمو الأخلاق وارتفاعها... عنوان البعد عمّا حرم الله تعالى... الذي لم يحرم إلا ما أضر الجسد وأوهن القوة..

***

والموفق المحظوظ من الدعاة.. داعية رزقه الله ابتسامة ساحرة.. ولفظاً عذباً آسراً.. وأسلوباً جميلاً مؤثراً.. لأن وظيفة الداعية هي غزو القلوب وأسرها.. والسيطرة عليها... وهذا لا يكون ولا يتحقق لمن ملك الدنيا... وجمع المال. وحشد الجنود والرجال. فكانت بيده مقاليد الحكم ورهبة السلطان.. والأمثلة الدامغة الدالّة على ذلك في حياة بني البشر أكثر من أن تحصى.. إن الملك والمال والقوة والسلطان.. هي طريق من لا يملك الحجة والبرهان.. وسلاح من جهل حقيقة الوصول إلى القلوب.. فاتخذ ذلك وسيلة للسيطرة على الأبدان.. وما أسهل السيطرة عليها؟!!

أما القلوب فما أصعب الوصول إليها!!

وما أعظم رسول الله صلى الله عليه وسلم!! الذي ما فتئ يعلم ويربي حتى تتحقق فينا الرحمة الكاملة للعباد كافة حتى نستحق أن نؤتمن على دين الله ورسالته.. فنكون بحق خلفاء الله في الأرض.. وورثة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم.

ما أعظم رسول الله صلى الله عليه وسلم!! وهو يعلمنا دروس التجميع والاتحاد والاستيعاب!! دروس الالتقاء والتعاون!! دروس المحبة والتسامح والتغافر..

ما أعظم رسول الله صلى الله عليه وسلم!!.. كان الرجل يدخل عليه وليس في قلبه من هو أبغض إليه منه.. ويخرج من عنده وليس في قلبه من هو أحب إليه منه صلى الله عليه وسلم[1]

---

(١) أسر الصحابة سيداً اسمه(ثمامة) وربطوه بسارية المسجد، فخرج اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال :«ماذا عندك ثمامة»؟ فقال : عندي يا محمد خير، إن تقتل تقتل ذادم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ماشئت. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(أطلقوا ثمامة)، فانطلق ثمامة فاغتسل ثم دخل المسجد فقال: أشهد ان لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، يا محمد والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إلي. وما كان من دين أبغض إلي من دينك، فأصبح دينك أحب الدين كله إلي، والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إلي، ولما قدم مكة قال له قائل: أصبوت؟ قال: لا ولكني أسلمت.(متفق عليه).

وكان الأعرابي بكل فظاظته وغلظته... يأتي النبي صلى الله عليه وسلم.. فيجبذه بردائه جبذة شديدة، حتى تترك أثراً في عاتق رسول الله من شدة جبذته، ويقول: يا محمد، مر لي من مال الله الذي عندك. ولا يزيد رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن التفت إليه بل وضحك في وجهه، ثم أمر له بعطاء!! (رواه البخاري)

وهذا أعرابي آخر يدخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم. ويبول في المسجد، فيصيح به الصحابة رضوان الله عليهم: مَه مَه. لكن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يقول لهم: لا تزرموه دعوه. أي اتركوه حتى ينهي ولا تقطعوا بوله. ثم يقول للأعرابي معلماً ومرشداً: (إن المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول والقذر، إنما هي لذكر الله، والصلاة والقرآن). ثم يقول لأصحابه معلماً ومرشداً: (إنما بعثم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين، صبّوا عليه دلواً من الماء). (رواه البخاري)

ما أعظم رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي لم يتمالك هذا الأعرابي أمام هذه العظمة في الرحمة والرفق والتسامح والتربية والحلم إلا أن يقول : (اللهمّ ارحمني ومحمداً، ولا ترحم معنا أحدا)!! فيقول له الرسول صلى الله

عليه وسلم. (لقد حجَرت واسعاً) أي ضَيَّقت واسعاً. (رواه البخاري)

وهذا صحابي آخر، حديث عهد بالجاهلية يقول: بينما انا أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ عطس رجل من القوم(المصلين) فقلت له: يرحمك الله، فأخذ المصلون ينظرون إليّ منكرين، فقلت لهم: واثُكل أماه! ما شأنكم تنظرون إليّ؟! فأخذوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم فسكت... ثم يقول هذا الصحابي وهو معاوية بن الحكم السلمي- رضي الله عنه-: بأبي وأمي: ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فوالله ما كهرني(قهرني)، ولا ضربني، ولا شتمني. بل قال له صلى الله عليه وسلم:(إنّ هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنّما هي التسبيح والتكبير، وقراءة القرآن)!!

***

وما أكثر الأعراب- أخانا الداعية- في هذا الزمان!! ما أكثر الأعراب خلقاً ومعاملةً، لا نسباً وقرابة!! ما أكثر الأعراب ذوي القلوب الغليظة.. والألفاظ القاسية النابية!! التي يرمون بها إخوانهم في العقيدة والدين!! فضلاً عن الناس الآخرين!!

وحين كثر هؤلاء.. وضاقت الأفهام عند الآخرين عن استيعاب مواقف الرسول صلى الله عليه وسلم في كيفية التعامل مع هؤلاء وأمثالهم.. فضاق الأخ بأخيه ذرعاً.. حتى تحول هذا الضيق إلى بغض وحقد عند البعض.. والأعداء عن بعد يرقبون الأمر.. ويغذونه ويمدونه بأسباب الحياة والبقاء والديمومة.. حتى اتسعت الشقة بين أعضاء الجسد الواحد!! وعظمت الهوة!! بل تعدى الأمر إلى أن يجعل الواحد من هؤلاء هدفه محصوراً في الطعن والقدح باخيه في الدين.. الدين الذي جهل حقيقته... وأفسد جوهره..

ولو أن القلوب اتسعت للآخرين.. وأعرضت عن الجاهلين.. ووعظت بحب ولين.. وكظمت الغيظ حيناً بعد حين. صابرة محتسبة.. ترجو من الله السلامة وحسن الخاتمة.. لدفع الله تعالى هذا الشر وهذا البلاء!!

وحريٌ بك اخي الداعية أن تقف بين يدي سيدك رسول الله صلى الله عليه وسلم:-- الذي أمره الله تبارك وتعالى بقوله: ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون. وتوكل على العزيز الرحيم﴾. الشعراء ٢١٥-٢١٧. -طويلاً طويلاً... تأخذ الدروس.. وتستلهم العبر.. وتستعين على المسير في هذا

الطريق بالمعالم التي خطها رسول الله عبر حياته الدعوية الحافلة بالعطاء والصبر والجهاد!!.. وجدير بك.. بل وواجب عليك أن تقف عند هذه المعالم طويلاً.. فتقف عند قوله صلى الله عليه وسلم:

«لا تحقرنّ من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق».

«تبسمك في وجه أخيك صدقة».

«إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على سواه» رواه مسلم.

«من أعطي حظه من الرفق، فقد أعطى حظه من الخير، ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير » رواه أحمد والترمذي.

«يا عائشة ارفقي، فإنّ الله إذا أراد بأهل بيت خيراً أدخل عليهم الرفق» صحيح رواه أحمد.

«من يحرم الرفق يحرم الخير كله». رواه مسلم

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث أحداً من أصحابه في بعض أمره قال: بشّروا ولا تنفّروا ويسّروا ولا تعسّروا » متفق عليه.

وعلى هذا.. فليس بداعية من قنّط الناس وأيأسهم.. وليس بداعية من حرم الرفق والحلم والأناة.. وليس بداعية من رام التنفير والتعسير.. وليس بداعية من يفرق ولا يجمع... يشتت ولا يوحد.. يفسد ولا يصلح!!

وإليك أخي الداعية هذا الحديث الذي ترويه أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها: قالت: إنّ اليهود أتوا النبيّ صلى الله عليه وسلم، فقالوا: السام عليك (الموت عليك) فقال الرسول: وعليكم. فقلت: السام عليكم، ولعنكم الله وغضب عليكم. فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: (مهلاً يا عائشة! عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش). فقلت: أولم تسمع ما قالوا؟!

فقال: أولم تسمعي ما قلت؟ رددت عليهم، فيستجاب لي، ولا يستجاب لهم فيّ، رواه البخاري وفي رواية مسلم: (لا تكوني فاحشة، فإن الله لا يحب الفحش والتفحش)..

حتى مع اليهود- قاتلهم الله أعداء الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، يأمر بالرفق.. وعدم الفحش!! فكيف مع غيرهم؟!

والله تبارك وتعالى يقول: ﴿ولا تسبّوا الذين يدعون من دون اللّه فيسبوا الله عدواً بغير علم، كذلك زينا لكل أمةٍ عملهم ثمّ إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون﴾ الانعام١٠٨.

***

وليس في هذا غرابة أو عجب، فقد خاطب الله تبارك وتعالى من قبل رسوله موسى عليه السلام، حين أمره بالذهاب إلى (فرعون) الطاغية المتأله في الأرض بقوله: ﴿اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري. اذهبا إلى فرعون إنّه طغى. فقولا له قولاً ليّناً لعلّه يتذكّر أو يخشى﴾ طه٤٢-٤٤.

وعليه أخانا الداعية تذكر دائما أن الله تعالى أمر من هو خير منك(موسى) عليه السلام أن يذهب إلى شر من وجد على وجه الارض وما زال مثلاً يضرب للشر والطغيان(فرعون).. وأمره أن يقول له قولاً لينا!! تذكر هذا ولا تنس الحكمة منه!!

ونفهم من هذا أيضاً أنّ طريق الخشية والتذكر هو القول اللين.. ودليل هذا أن الله تبارك وتعالى حين أرسل رسله إلى الناس، لم يزودهم بغير الدليل والحجة والبرهان..

لم نقرأ أو نسمع عن رسول أرسله الله تعالى ومعه جنود أو ملائكة يعاقبون المكذبين..بل لم نسمع أنّ رسولاً من الرسل عليهم صلوات الله وسلامه اتخذ جلاّداً أو سيّافاً.. أو ابتنى سجناً أو معتقلاً!! بل: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ النحل ١٢٥. فما كان الرفق في شيء إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه وعابه، كما أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وبهذا أمر السلف الصالح رضوان الله عليهم. أن التعليم والدعوة وإيضاح الحق لا يكون إلا بالتي هي أحسن، لأن هذا أقرب إلى الخير.. قال سفيان الثوري رحمه الله .«ينبغي للآمر والناهي أن يكون رفيقاً فيما يأمر به، رفيقاً فيما ينهى عنه، عدلاً فيما يأمر به، عدلاً فيما ينهى عنه، عالماً بما يأمر به، عالماً بما ينهى عنه»[1].

***

وإنك لتعجب من أمر الكثيرين.. الذين يحتارون في اختيار الألفاظ.. ويجهدون في البحث عن الأسلوب

---

(١) انظر: وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، رسالة لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، ص١٨-١٩.

المناسب.. فيختارون من الألفاظ أعذبها.. ومن العبارات أجملها.. كل ذلك حتى يحققوا لأنفسهم غرضاً خاصاً وغاية محدودة جداً.. فتراه إن عجز بحث عمن ينمق له كتاباً جميلاً.. يقرأه مرة.. ويعيد النظر فيه مرّات.. هذه مناسبة.. وهذه نابية .. وقد يكون هذا كله من أجل وظيفة.. أو ترقية.. أو منصب.. أو إجازة... سبحان الله!!

فإذا كان هذا كله من أجل مصلحة خاصة محدودة.. قد تكون أولا.. أفلا تستحق منا دعوة الضالين المنحرفين العاصين مثل ذلك بل وأكثر؟! ألا يستحق منا عتق وإنقاذ رقبة من النار وسخط الله مثل ذلك وأكثر؟! ألا تستحق منا الدعوة إلى الله تبارك وتعالى أن نتحلّى لها بكل خلق؟! ونتسلح لها بكل أسلوب جميل مؤثر، يلفت انتباه الناس ويستهوي أفئدتهم؟!!

أخي الداعية... «إن خير النفوس تلك النفس الطيبة التي ترى سعادتها في إسعاد الناس وإرشادهم، وتستمد سرورها من إدخال السرور عليهم، وذود المكروه عنهم، وتعدّ التضحية في سبيل الاصلاح العام ربحاً وغنيمة، والجهاد في الحق والهداية راحة ولذة، وتتغلغل في مظاهر المجتمع فتعرف ما يعكر على الناس صفاء عيشهم ومسرة حياتهم،

ويزيد في هذا الصفاء ويضاعف تلك المسرة، لا يحدوها إلى ذلك إلا شعور بالرحمة لبني الإنسان، وعطف عليهم، ورغبة في خيرهم، فتحاول أن تبرئ هذه القلوب المريضة وتشرح تلك الصدور الحرجة، وتسرّ هاته النفوس المنقبضة، لا تحسب ساعة أسعد من تلك الساعة التي تنقذ فيها مخلوقاً من هوّة الشقاء الأبدي أو المادي، وترشده إلى طريق الاستقامة والسعادة»[1].

***

ومما لا يخفى عليك أخي أن الأسلوب لا بد وأن يمتاز بالكلمة الصادقة الخالصة، الواضحة البيّنة.. التي لا يستعصي فهمها.. ولا يصعب على الناس مرادها.. لا بد وأن تختار

---

(١) مذكرات الدعوة والداعية/ الإمام الشهيد حسن البنا ص٦٣-٦٤، وانظر في هذا المعنى كلاماً جميلاً للأستاذ فتحي يكن في كتابه (الاستيعاب في حياة الدعوة والداعية) ص٢٨-٢٩ منة: «إن الداعية بحق هو الذي يعيش لغيره لا لنفسه، وتهمه سعادة غيره ولو على حساب سعادته هو، ويتجرع الغيظ في ذلك، وهو على يقين بأنه سيتحول في جوفه إيماناً، وسيكون له ذخراً عند الله يوم الحساب. وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول: «ما من جرعة أحب إلى الله من جرعة غيظ كظمها عبد، ما كظمها عبدالله إلا ملأ الله بها جوفه إيمانا» رواه ابن ماجه،....»

لكل مقام مقالا.. ولكل قوم ما يناسبهم.. (نحن معشر الأنبياء أمرنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم) أو كما قال رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم، وفي دعاء سيدنا موسى عليه السلام حين أمره الله تعالى بالتوجه والذهاب إلى الطاغية فرعون ما يزيد الأمر وضوحاً وتجلية: ﴿قال رب اشرح لي صدري. ويسرلي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي، واجعل لي وزيراً من أهلي. هارون أخي﴾. طه ٢٥-٣٠.

ومع هذا نجد فرعون يقول عن موسى عليه السلام: (أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين) الزخرف ٥٢. فيعيره بحبسة كانت في لسانه قبل النبوة، لما أعيته الحجة لجأ إلى التهمة الباطلة وهوّن من وسيلة موسى في البيان والبلاغ؛ ليشك الناس في قدرته، وينفرهم منه.[1]

والله تبارك وتعالى ما أرسل رسولاً إلا بلسان قومه، مزوداً بقوة في الحجة، وقوة في الفصاحة والبلاغةوالبيان، يقول تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾. إبراهيم ٤، حتى تقوم الحجة عليهم.

---

(١) انظر: هكذا علّم الأنبياء/ سلمان بن فهد العوة، ص٣٠-٣١.